

المستشفيات النقلة في الحرب

وسميتها الدكتور لاري D. I. Larrey

من الغريب ان الجمهور لا يهتم بالاعمال الطبية التي يقدم عليها رجال الفن في ميادين القتال الدائرة رحاه الان (١) ولا يكلف نسبة البحث عن القواعد الصحية التي وضعوها وحروا عليها لعلوا كيان القوة المقاتلة المولدة من ملايين الرجال من الامراض المهلكة التي يكثر حدوثها في الحروب ويزيد نكبتها بالارواح على فتك القنابل اذا اعمل شأنها ولم تقاوم بما هو معروف من الوسائل الهيجينية والطرق العلمية. واغرب من ذلك اذا اتفق لبعضهم وعثر على رسالة او وقع يدهم كتاب فيه وصف ما يعانيه الاطباء في خطوط النار من الاحوال ويعترضهم من الصعوبات والاضطراب في خدمة المرحى والمرضى ونشر شيئاً عن الرسالة او الكتاب اعرض القراء عنه آسفين على الوقت الذي اضاعه. على ان الباحث المستقصي في سبب فشل جيش وانكساره وتدهجيش واتعماره يجد ان من اهم عوامل النصر في الحروب تنظيم الاعمال الصحية واتقانها كما يقتضيه الفن ويتطلبه العلم. ولنا على صحة هذه النظرية شواهد تالفة فالجيش البريطاني لم يعقد له النصر على الجيش التركي في ميدان العراق العربي الا بعد ما نجحت جمعية الصليب الاحمر في مكافحة الادواء المتفشية في ذلك الاقليم الموبوء وفازت بتطهيره منها وكانت نتيجة اعمالها هذه انها اعادت الى الجيش صحته ونشاطه فقاد الى كفاحه مهمة لم تكن له قبلاً وبقاء جيوش تعد بعشرات الملايين من الرجال اربع سنوات او اكثر في ساحات القتال تحت مؤثرات العوامل الجوية والحربية من غير ان تصاب برباء جارف او يتشمى بينها احد الادواء المعروفة مثل التيفوس والتيفويد والذوسنتاريا والكرزاز وغيرها مما يتكاثر عادة في الحروب ذلك من معجزات العلم واقصى ما بلغه الفن من الرقي في حسن الوقاية وضروب الدفاع عن صحة الابدان. والذي دطانا الى ذكر ما تقدم رسالة نشرتها المجلة الاميركية في احد اعدادها على اثر رسالة وصلت اليها من طبيب اميركي في ميدان فرنسا وصف فيها الاعمال الطبية وتقدم فن الوقاية

(١) كتبت هذه المقالة قبل عقد الهدنة

والعلاج ولاسيما الجراحة وذكر الاساليب والطرق المشبعة في تشريح الجروح وتنظيفها وسرعة اسعاف الجرحى بكل ما يحتاج اليه من الاسعافات عند اول مشاهدته بخلاف ما هو مقرر من القواعد في معظم كتب الدراسة . ولا ريب ان الحرب ساعدت الفن على التقدم وخطت به خطوات واسعة الى الامام في طرق الوقاية والمعالجة كما انها اضررت سير العمران وارجعت التهقرى عشرات من السنين . ونلخص فيما يلي رسالة الجثة وزد فيها بنسبة تاريخية عن الرجل الذي وضع طريقة تشريح الجروح وتنظيفها من الشظايا والاجسام الغريبة وتنظيفها مثل احسن الطرق المتبعة الآن واليه يرجع الفضل في اختراع النقالة واستخدامها لاجراء الاسعافات الاولية وراء خطوط النار وغير ذلك من القواعد الفنية في معالجة الجرحى

لما كتب نبوليون الكبير وصيته قال فيها اترك مئة الف فرنك للفاضل لاري الذي عرفته من افضل الرجال وهو لا يعني بقوله هذا انه مستقيم وشريف وشهم فقط بل فاضل بكل ما تنطوي عليه هذه الكلمة من المعنى الروماني . واذا وصفا لاري كجندي فانه كان شجاعاً يعول عليه واميناً يوثق بكلامه او كطبيب فانه كان من الاطباء الذي يعطون على المرضى عطف الام على ابنتها ويحملون الجريح على ظهورهم في حين الضرورة . وكان اجناء الجيش الفرنسي يجهنون الى درجة ما بلغها احد قبلة من عهد امبروز بري Ambroise Paré وكان من اروع الجراحين الذين عرفهم نبوليون وقربهم اليه . وفي سنة ١٧٩٢ اقترح على الجنرال كوستين انشاء النقالة الطائرة او المستشفى المتنقل لمعالجة جرحى الحرب وراء خطوط النار تقادياً من ضياع فرصة ثمينة لهم لا تعوض عليهم اذا نقلوا الى المستشفيات الثابتة فعرض الجنرال اقتراحه على الامير برنكل فاختر هذا منافع في معركة دتكين Detingen لأول مرة وقد اثرت تأثيراً حتماً في الجيش مما حصل عليه من سرعة الاسعاف بسببها . وقيل انها قوت فيه الصفات الحربية وجملتها على الاقدام والاستبسال . ثم انشأ عربة خفيفة لكنها متينة وضع قواعدها على رافض وهي قريبة الشبه بالسيارة التي نشاهدها تمرح في شوارع القاهرة ذهاباً واياباً بالجرحى والمرضى ادخلها لاري في الجيش الفرنسي لنقل الجرحى الى اقرب مستشفى من خطه القتال . وكان ينقل الجرح بمحلول الملح ويترك فيه لعقافة مشربة منه بعد ان

ينزع الفضلات المتجمعة فيه ويزيل السنج الفاسد وإذا كان في الجرح شظية أو اجسام غريبة ولو كانت غائبة كان يقضي بنزعها وتدريب الجرح منها. وفي حالة الجروح المغننة وانظكرشية كان ينقلها محلول لا بارك Labarraque وقال بضرورة الدرغنة في الجروح الواسعة واتوسيع الجروح الموحدة ودرغنتها وكان يوصي باجراء عملية البتر عند اول مشاهدة الفحت فيها الاعراض الطاعمة وكان يحذر بالطريقة التي تقضي بالتريث بلأنما يبدو على جذع العضو خط الكمود ويقول ان الوقت الذي تصرفه بالانتظار لظهور الخط نعرض فيه المريض لخطر الموت مقلظ حياته متدم على كل شيء ولا بأس ان يقضي عمره مقطوع الساق او الساعد بشرط ان يبقى حياً وكان يدل الاطلاق والقصد الثالين في ايامه يصف المأكّل المنذية الصالحة للعرض و احياناً يستعمل الانبوب في تغذية الجرحى المصابين بجروح بالنك او العنق وكان سابق زمانه بمعرفة اعراض جروح الدماغ فانه اكتشف ما يعرف الآن بعلامة الميدان او الكمود على سطح النمو الحلمي في حالة كسر القاعدة وكان سريعاً في اجراء عملية البتر الى درجة لم يضارعه فيها غير افراد قلائل فكان يجري عملية بتر المفصل الحرقفي التخذي في دقيقتين واجرى عملية بتر مفصل الكتف مع بتر قسم كبير من عظم الورك لثة واحدى عشرة اصابة فسبح وتعمون منها شفيت وهي نتيجة مرضية جداً لا يحلم مثلها الجراحون في احدث مستشفيات باريس واميركا ولندن الآن. وهو اول من استعمل مرهم الزئبق على اخص القدم وغير قسم من اقسام الجسد في داء الزهري واول من نبه الى تصلب الشرايين فيه ونشر في القاهرة رسالة مطولة جمع فيها معلوماته عن داء العيون المنتشر فيها (رمد حبيبي) او التراخوما وهذا الداء كان ورد ذكره منذ ٣٤٠٠ سنة في عهد الدرّاج المعروف باسم Ebers Papyrus وبنى مجهول الذكر كل هذا الوقت الى ان اتيج للاربي فذكره وذكر اعراضه وقال انه من الادواء المعدية. وحسب لاري هذا الاثر الحميد الذي يحفظ اسمه مقروناً بالفضل والشكر ابد الدهر ولد سنة ١٧٦٦ في بلدة بودون بفرنسا من ابدن متوسطي الحال ودرس مبادئ العلوم على احد الاساتذة في بودون ولما بلغ الثالثة عشرة من سنه ارسل الى خاله في تولون ليدرّس عليه الفن الذي كان يطمح اليه وكان خاله استاذاً وجراحاً في المستشفى العمومي وعضواً مراسلاً في اكااديمية الجراحة الملكية

في باريس . فقال لاري الشهادة الطبية سنة ١٧٨٧ وسافر الى باريس حيث تعين مساعداً لطبيب جراح في الاسطول واستمر الامر بالانضمام الى ابارجة التي تعين فيها وكانت راسية بميناء برست فأضطر لضيق يده ان يسير ماشياً على قدميه من باريس الى برست . وفي طريقه خرج على لافال وزار منزل امبروز بري المتقدم ذكره ومؤسس فن الجراحة في الجيش الفرنسي وفي حال وصوله الى برست طلب منه ان يستعد للامتحان في خمسة ايام فرفض المهنة وطلب ان يتمتع فوراً وقد فاز بالامتحان من غير استعداد وقال شهادة حسنة وترتب على فوزه الباعر واعجاب اللجنة به ان تعين جراحاً للبارجة فيجلات بدل ماعد وكانت سنة ٢١ ولاسياب طرأت لا محل لذكرها لم تقلع البارجة الا في اول ابريل سنة ١٧٨٨ فسافر عليها الى الارض الجديدة غنارة صيادي الحوت ولم يحدث له ما يستحق الذكر في هذه الرحلة غير نقص المؤونة . فقد بلغ مقدار ما كان يتألفه من الغذاء في اليوم اربع اواق من البسكوت وزجاجة ماء آسن . وما كاد يصل الى ميناء برست حتى شخص الى باريس ودرس على الاستاذين سابير Sabatier ودسولت Desault الجراحة الاكلينيكية ونوه بفضل الاخير عليه في بحاجه واتفق وهو في باريس ان اكثروا جوامع المدن بالثورة ونسبت معارك هائلة بين الثوار والحكومة في حديقة تويلري والباستيل وفي ساحة مارس اسفرت عن عدد ليس بقليل من الجرحى كانوا من نصيب لاري في اسعافهم ومداواتهم . وقد لحظ ان التأجيل في اجراء عملية البتر يفسح المجال لمكروب الكزاز فيرسخ قدمه في العضو الملعوب ولا يلبث ان يدس سمه الهالك في الجسد كله وتظهر اعراضه غريبة . ودرس في خلال ذلك طرق العدوى وتكرور المعظم

وعلى اثر حرب الثورة تحركت قوات الدول المجاورة واعلنت الحرب على فرنسا فعين لاري جراحاً اولاً في جيش الين وكان ذلك الجيش بقيادة المرهال لوكر . ولما وقف على طرق معاملة الجرحى اذكرها فان اناجيج كان يقضي بسماً بين اسابيع قبل ان يحصل على الاسعافات الاولية ولم يكن يتقل الى المستشفى ليعنى به الا بعد ان يدب النفن الى جرحه وتبدو عليه علامات التخرفنا وكان معظم الجرحى يموتون متأثرين من جروحهم لعدم اسعافهم في حال اصابتهم . فاقترح

لاري على الجنرال كوستين انشاء نقالة مداواة الجرحى في خطوط القتال ولقي اقتراحه الاستحسان كما مر

وبعد حرب الرين دعي الى باريس وعهد اليه في انشاء النقالة وتسيبها في جيش الجمهورية كله وزار بعد ذلك اسبانيا ودرس الاعمال الصحية في جيشها ثم امره بوفارت ان يذهب الى ايطاليا وينشئ النقالة في الجيش الايطالي وما كاد يبلغ مركز اركان الحرب حتى اعلن الصالح وعقد في كيو فورميو . ثم انضم الى الحملة التي جردها نابليون على مصر واجتاز البحر الاحمر في صحة ذلك القائد العظيم ونال منه في مصر الاكرام ولم يخف اعجابة عقدرته ونشاطه عن احد ولما عمد صلح اميان ورجع لاري الى باريس وجد ان القنصل الاول لم يكتف باذاعة فضله والتبويه بمجلائل اصحاله وخدماته في رسالة امر برتيار Berthier ان ينشرها بل صادق على ترقية الاطباء الذين ذكرهم لاري في تقريره وطلب ترقيةهم واصدر امره بتعيينه رئيس الجراحين في جيش الحرس واهدى الى عقيلته الفأ وخمسة فرنك . وكان نابليون قد بلغ اوج مجده فانعم عليه بوسام الشرف وعينه عضواً في جوقه الشرفاء ثم مفتشاً للجيش الفرنسي . وبعد معركة ايلر Eylou رقي الى رئيس مجلس الشرفاء وانعم عليه بوسام الفارس والتاج الحديدي . وبعد معركة وجرام Wagram الشهيرة منح لقب بارون الامبراطورية ومعاش تقاعد قدره خمسة آلاف فرنك في السنة

وفي عودة الامبراطور من ألبا الى العرش طلب صديقه لاري وعهد اليه في تنظيم الاعمال الطبية في الجيش وان يشغل بنفسه اعمال النقالة واوصاه ان يكون قريباً منه في معركة واترلو الشهيرة التي وقعت سنة ١٨١٥ وكان يجهد ذلك القائد النابغة مصيره في تلك المعركة بل كان يحسبها كما باقياها لا بد ان يعقد له النصر في ختامها كما تجل امامه في بدنها ولكن طاش سهمه هذه المرة وحدث ما لم يكن في حايه كما هو معروف ولما تحقق ان النصر افلت من يده وانتقل الى يد خصومه وشاهد فرسان الجيش البريطاني يقترب من محل النقالة او المستشفى المنقل تذكر صديقه لاري فارسل اليه فارساً من حرسه وامره ان ينجو بنفسه ولكن البروسيين ادركوه وامروه في سامبر وقيل انه لو لم يقع عن ظهر جواده لما كان

وقع في الأسر . وبعد أن خبت جذوة تلك المعركة سمح له بالعودة إلى فرنسا ولكن بشروط نفوليون عن العرض سقط لاري من مقامه الرفيع وقامى من معاملة البربريون الأحيوان ولم يبقوا له غير مركزه في جيش الحرس لتعلق هذا الجيش به وودعاه ملك البلجيك قائلاً في جيشه النقالة وانتقل من البلجيك إلى إيطاليا فنندن وعهدت إليه حكومة فرنسا في تفتيش المستشفيات في الجيرا ورفع تقريراً عنها . وفي قيامه بهذه المسؤولية أبدى من البراعة في تنظيم العمل فيها وتنسيقه على عطف لا غناضة فيه اليوم . وفي عودته من أفريقيا إلى باريس ادركته المنية في مدينة ليون في ٢٥ يوليو سنة ١٨٤٢ فات مأسوفاً عليه من الامة الفرنسية التي قدرته قدره ومن الجيش الذي ذكر خدماته ومن الفن الذي قدر فضله وجهاده في تقدمه وتأيد مقاصده النبيلة

الدكتور شخاشيري

مناجاة الأرواح

حديث مع السر اوليفر لندج

قابل بعضهم السر اوليفر لندج العالم الطبيعي المشهور وحادثة في امر السبرترزم او مناجاة ارواح الموتى ونشر الحديث في مجلة الترانند الانكليزية فلهذهناه عنها على

قال المحدث لاسر اوليفر طلب مني ان اسألك عما وصل اليه السبرترزم الآن فاجابة اني لا استحسن هذا الاسم الا اذا اريد به معنى فلسفي اما اصحاب السبرترزم الذين يمدون انفسهم طريقة دينية فلا علاقة لي بهم ولو كان بينهم كثير من الفضلاء

المحدث — لا شبهة ان للسبرترزم معنى علمياً كما له معنى ديني

لندج — نعم ومعناه العلمي يطلق عليه الآن اسم البحث النفسي وقد كان من نتائج الاستدلال على ان العقل يمكن تجرده عن الجسد وانه يمكن ان تقام الادلة العلمية على انه يبقى بعد موت الجسد

المحدث — ان كان الامر كذلك فهو على غاية الاهمية